

محاضرة رقم 3

نظرية التعبير

ظلت نظرية المحاكاة مسيطرة على الحركة النقدية الأوربية حتى القرن الثامن عشر ميلادي حث شهد المجتمع الأوربي تغيرات في بنيته الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية والسياسية وبظهور النهضة الصناعية والانتقال من الريف إلى المدن تولدت علاقات جديدة وظهرت فلسفات حديثة تهتم بالفرد حيث هيمنت فئات اجتماعية جديدة على جميع منحي الحياة سميت بالطبقة البرجوازية.

نلخص نظرية التعبير في أهم النقاط الآتية:

1. (كان لشيوع أفكار الديمقراطية والإعلاء من شأن الفرد وكذلك بروز بعض الشعارات (العدل، الحية، المساواة) أثرا في صعود الطبقة الوسطى وسيطرة القيم الذاتية.
2. كان للتعليم والطباعة والصحافة الدور الكبير في دعم الأفراد بحقوقهم والاهتمام بالبعد الشعوري والعاطفي حيث ظهرت موضوعات جديدة وثار الأدباء على قواعد الفن الكلاسيكي.

3. من أسسها الفكرية التمرکز حول الفرد أساسا للتغيرات السابقة وقد عُدَّ الفرد حجر

الزاوية في كل المجالات، بمعنى الحياة الجديدة مبنية على المفاهيم الفردية)¹

4. استندت نظرية التعبير إلى الفلسفة المثالية الذاتية (التي رفضت الآلية وقالت

بالديناميكية والتي ترى أن الوجود الأول للذات أو للوعي الإنساني أم العالم

الموضوع فمن خلق هذه الذات لأن وجوده متوقف على إدراك مدرك له ودون هذا

الإدراك يعد العالم الموضوعي غير موجود وما دامت الذوات تتغير فإن كل منها

يخلق العالم على صورته الخاصة وهذا يعني أن الذاتي يخلق الموضوعي، وما دام

الأمر كذلك فلا بد أن يقدم الشعور عن العقل والتجربة والخبرة، والفن في هذا

السياق تعبير عن الصورة الخاصة للعالم وهي الصورة التي خلقتها الذات معتمدة

الشعور والوعي العاطفي...وكم للتعبير هنا هو قدرة الفن على تصوير خلق الذات

لعالمها الخاص)²

5. ويعد كانط وهيغل من أهم الفلاسفة المنظرين لنظرية التعبير ومن أهم المؤثرين في

الأدب والنقد وهما الذين سطر القواعد الفلسفية لنظرية التعبير (وقد فصل كانط بين

المعرفة الحسية والمعرفة العقلية كما اعتبر الشعور طريقا للمعرفة الحقيقية أما هيغل

فقد رأى أن مصدر الفن هو الخبرة الخاصة وماهية الفن مظهر حسي للحقيقة

¹ ينظر، د أحمد العدواني، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية

https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html

² د عبد المنعم تليمة/ مقدمة في نظرية الأدب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة مصر، 1976، ص

ومهمته أرفع صور التعبير البشري عن هذه الحقيقة، ويضع هيكل الإبداع أساسا لفلسفة الفن أي أنه يفسر من زاوية المبدع الفنان، كما يرى أن الفنان يدرك الحقيقة وهي مصورة محسوسة فالعنصر الحسي يحرك طاقة الخيال لدى الفنان بعمل الخيال يدرك الفنان الحقيقة لا كما موضوع ولا كفكرة وإنما يدركها في صورة، فالفن إدراك خاص للحقيقة وأولى المسائل اهتماما في هذا أداة الإدراك: الخيال³.

6. (أبرز ملامح نظرية التعبير أن الأدب تعبير عن الذات أي عن العواطف والمشاعر والأحاسيس وأن القلب هو ضوء الحقيقة وليس العقل ووظيفة الادب تكمن في إثارة العواطف والانفعالات، حيث يتخذ الحب موضوعا له وينبغي أن يثير الحب في نفس القارئ)⁴

7. (اهتمت نظرية التعبير بالأديب أكثر من الأسلوب أو الشكل فالشخصية أهم من الحكمة والأحداث ورأت بأن الأديب يعيد خلق الحياة من خلال رؤيته الخاصة، وقد اهتم أصحاب هذه النظرية بتأكيد الحقيقة القائلة بأن الإنسان خير بطبيعته كما اهتموا ببيان قيمة الطبيعة إلى حد التقديس فكوليردج وورد زورث يعتبران أعظم الشعراء وأهم أعلام نظرية التعبير)⁵

8. تلخصت معظم أفكار وورد زورث في التركيز على شعر الطبيعة والتلقائية في الكتابة، بقول مثلا: إن كل شعر جيد هو فيض تلقائي لمشاعر قوية، وهذا ضد فكرة

³ د غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، القاهرة مصر، 1973، ص ص310.300

⁴ د شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص 45

⁵ المرجع نفسه ، ص 46

الصنعة التي كانت محورا في نظرية المحاكاة. كما يرى أن ما يكسب العمل قيمته طريقة المعالجة والبعد العاطفي فيه، كما رفض فكرة الألفاظ الشعرية وقال بقصر المسافة بين الشعر والنثر وانعدام الأثر الخارجي أو التقليل من شأنه.

9. أما عن كوليرج صاحب نظرية الخيال فقد رأى ان العقل والإدراك يتحدان في

الشعر والفن بواسطة الخيال الي يدمج الخاص بالعام والمالي بالمثالي والشكل بالمضمون... فالخيال يفتت ويذيب ليعيد الخلق والتشكيل من جديد. للخيال نوعان عند كوليرج، فالخيال الأولي هو القدرة على إدراك الأشياء وهو مجد عند كل الناس، (أما الخيال الثانوي فهو ما يتميز به الشعراء والفنانون وهو القرّة على إعادة تصوير الأشياء من جديد وفق علاقات جديدة من صنع خيالات الشاعر... إنه يوجد مع الإرادة الواعية إنه يذيب يلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد، إنه يسعى لإيجاد الوحدة وإلى تحويل الواقع إلى مثالي جوهره مثالي بينما الموضوعات التي يعمل بها فجوهرها ثابت لا حياة فيها)⁶

لقد كان لنظرية التعبير الأثر الهام على مسار الأدب والنقد، حيث شكلت انعطافا حادا في هذا المسار كونها قوت العلاقة بين الأدب والسيرة، فالأدب نتاج الفرد الخالق والشاعر يكتب عن نفسه بأعمق المشاعر، يقول كوليرج: (إن أية حياة مهما كانت تافهة ستكون ممتعة إذا رُويت بصدق. وقد أوجد هذا ما يسمى بالنقد البيوغرافي أو السيرة. كما قّت هذه النظرية

⁶ محمد زكي عشاوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979، ص 26

العلاقة بين الأدب وعلم النفس، حيث ربطت بين إنتاج الأدب والموهبة الأدبية واللاشعور الفردي والجمعي)⁷.

⁷ ينظر، د شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص 52